مَسْحُور

[الطويل]

خَلِيلَيّ، عُوجَا اليومَ حتّى تُسَلِّما
على عَذبةِ الأنيابِ، طيّبةِ النّشرِ[١]

فإنّكما إن عُجتما ليَ ساعةً،
شكرتُكما، حتى أُغيَّبَ في قبري

أُلِمّا بها، ثمّ اشفَعا لي، وسَلِّما
عليها، سقاها اللَّهُ من سائغِ القَطرِ!

وبوحا بذكري عند بَثنةَ، وانظُرا
أترتاحُ يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكري

فإن لم تكنْ تقطعْ قُوى الودّ بيننا،
ولم تنسَ ما أسلفتُ في سالفِ الدهرِ

فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ
ببَينٍ، وغَربٌ من مَدامعِها يجري[٢]

---

(١) طيّبة النّشر: طيّبة الرائحة.
ورد خمسة عشر بيتاً متوالية في الأغاني ٨: ١٥٢. وورد أيضاً البيت الأول والثالث في الأغاني ٨: ١١١.

(٢) غَرْبٌ: دُمُوعٌ.

وإن تـكُ قـد حـالـتْ عـن الـعـهـدِ بَـعـدنـا،
وأصْـغَـتْ إلـى قـولِ الـمـؤنِّـبِ والـمُـزري

فـسـوف يُـرى مـنـهـا صـدودٌ، ولـم تـكـن،
بـنـفـسـيَ، مـن أهـل الـخِـيـانـةِ والـغَـدرِ

أعـوذ بـكَ الـلَّـهُـمَّ أن تَـشـحَـطَ الـنّـوَى
بـبـثـنـةَ فـي أدنـى حـيـاتـي ولا حَـشْـري[1]

وجـاوِر، إذا مـا مـتُّ، بـيـنـي وبـيـنـهـا،
فـيـا حـبّـذا مـوتـي إذا جـاورت قـبـري!

عـدِمـتُـكَ مـن حُـبٍّ، أمـا مـنـكَ راحـةٌ،
ومـا بـكَ عـنّـي مـن تـوانٍ ولا فَـتْـرِ؟

ألا أيّـهـا الـحُـبُّ الـمُـبَـرِّحُ، هـل تـرى
أخـا كـلَـفٍ يُـغـري بـحُـبٍّ كـمـا أُغـري[2]؟

أجِـدَّكَ، لا تَـبْـلـى، وقـد بـلـيَ الـهـوى،
ولا يَـنـتـهـي حُـبِّـي بُـثـيـنـةَ لـلـزّجْـرِ

هـي الـبـدرُ حُـسـنـاً، والـنـسـاءُ كـواكـبٌ،
وشـتّـانَ مـا بـيـن الـكـواكـب والـبـدرِ!

لـقـد فُـضّـلَـتْ حُـسـنـاً عـلـى الـنـاس مـثـلـمـا
عـلـى أَلْـفِ شـهـرٍ فُـضّـلـتْ لـيـلـةُ الـقَـدرِ

عـلـيـهـا سَـلامُ الـلَّـهِ مـن ذي صَـبـابَـةٍ،
وصـبٍّ مُـعَـنًّـى بـالـوسـاوِس والـفِـكْـرِ

---

(١) تشحط: تبتعد. حَشْري: موْتي. (٢) كما أُغْري بالحُبِّ نفسي.

وإنّكما، إن لم تَعُوجا، فإنّني
سأصرف وجدي، فأذنا اليومَ بالهَجرِ

أيَبكي حَمامُ الأيكِ من فَقد إلفهِ،
وأصبِرُ؟ ما لي عن بُثينةَ من صبرِ!

وما ليَ لا أبكي، وفي الأيك نائحٌ،
وقد فارقتني شَخْتةُ الكَشْح والخصرِ[١]

يقولون: مسحورٌ يُجَنُّ بذِكرِها،
وأُقسم ما بي من جُنونٍ ولا سِحرِ!

وأُقسِمُ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارقٌ،
وما هبّ آلٌ في مُلمَّعَةٍ قَفرِ[٢]

وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُعلَّقٌ،
وما أورقَ الأغصانُ من فَنَنِ السِّدْرِ[٣]

لقد شُغِفَتْ نفسي، بُثينَ، بذكركم،
كما شُغِفَ المخمورُ، يا بَثنَ، بالخمرِ

ذكرتُ مَقامي ليلةَ البانِ قابضاً
على كفِّ حَوراءِ المدامعِ كالبَدرِ[٤]

فكِدتُ، ولم أمْلِكْ إليها صَبابَةً،
أهيمُ، وفاضَ الدمعُ مني على نحري

---

(١) الشختة: الدقيقة الضامِرة.
(٢) ذرَّ شارق: شروق الشمس (يعني: كل يوم)، (وما هبَّ آلٌ في ملمَّعة قفر).
(٣) السِّدْر: شجر النّبق (ما أغصنت أشجاره وأثمرت).
(٤) حوراء المدامع: (المدامع: العيون، وحوراء: شِدّة بياض في شدة سواد).

فيا ليتَ شِعْري هلْ أبيتنّ ليلَةً
كليلتنا، حتى نرى ساطِعَ الفجرِ؟

تجودُ علينَا بالحديثِ، وتَارَةً
تجودُ عَلينا بالرُّضابِ من الثغرِ[١]

فيا ليتَ ربِّي قد قضى ذاكَ مرّةً،
فيعلمَ ربّي عند ذلك ما شُكري

ولو سألتْ مني حَياتي بذلتُها،
وجُدْتُ بها، إنْ كان ذلك من أمري

مضى لي زمانٌ، لو أُخَيَّرُ بينه،
وبَين حَياتي خالداً آخِرَ الدّهرِ

لقلتُ: ذَرُوني ساعةً وبُثينَةً
على غَفلةِ الواشينَ، ثم اقطعوا عُمري

مُفَلَّجةُ الأنيابِ، لو أنّ ريقَها
يداوى به الموتى، لقاموا به من القبرِ[٢]

إذا ما نظمتُ الشِّعرَ في غيرِ ذكرها،
أبَى، وأبيها، أن يطاوِعَني شِعري

فلا أُنعِمتْ بعدي، ولا عِشتُ بعدها،
ودامت لَنا الدنيا إلى مُلتقَى الحَشرِ

(١) الرّضاب: الرّيق.
(٢) مُفلَّجة الأنياب: بين أسنانها فروق (وقد كان هذا دليل حسنٍ عندهم).